﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران: 175]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الـــرّبـــط بين عـــودة المؤمنين مـن غـير سـوء، ونـبـذ الـخـوف مـن الـشّـيـطـان وأوليائه

لمّا انقلبَ الصَّحابةُ ﷺ بقيادةِ رسولِ اللّهِ ﷺ إلى مدينتِهم بفضلٍ من اللّهِ ونعمة، لم يَمْسَسْهم سوءٌ، بعد أن رَكِلوا مقالةَ المثبِّطين: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ [آل عمران: 173]؛ ساقَ بيانُ اللّهِ الآيةَ الكريمةَ؛ ليؤكِّدَ أنَّ الَّذي نَفَثَ في رَوْعِ أصحابِ تلكَ المقالةِ المثبِّطة؛ لترهيبِ المسلمين، إنَّما هو الشَّيطانُ، الَّذي ليس له سلطانٌ بالتَّخويفِ والتَّرويع إلّا على مَنْ تولّاه، وألقَى له حَبْلَ قيادتِه، ومن واجبِ المسلمينَ ألَّا يَخافوا أنصارَ الشَّيطان، بلْ يخافوا اللّه ﷻ دونَ سِواه، "فإنَّ الإيمانَ يقتضي إيثارَ خوفِ اللّه تعالى، على خوف غيرِه، ويستدعي الأمنَ من شرّ الشّيطانِ وأوليائِه"(1).

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: مِنْ (شَطَطَ)، أي: بَعُدَ، والشَّيطانُ بَعُدَ عن الحقِّ، بتكبُّرِه على أمرِ اللّهِ تعالى، وتأتي من (شَطَنَ)، والشّيطانُ: نونُه أصليّةٌ، وقيل: إنّها زائدةٌ، فإنْ جَعَلْتَه فَيْعالًا مِنْ قولِهم: (تَشَيْطَنَ) الرَّجُلُ؛ صَرَفتَه، وإنْ جعلتَه مِنْ تَشيَّطَ؛ لم تَصرِفْه؛ لأنَّه فَعْلانُ، والشَّيطانُ: كلُّ عاتٍ متمَرِّدٍ من الإنس والجنِّ والدّوابِّ، والمرادُ هنا الشَّيطانُ المعروف(2)، "والشّيطان: فيعال من شطن، أي: بعد، ويقال: شيطن الرّجل، وتشيطن، إذا صار كالشّيطان، وفعل فعله"(3).

(1) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 2/115.
(2) الرّازي، مختار الصّحاح، ص: 297، والقاموس المحيط: (شَطَطَ) و(شَطَنَ).
(3) الخليل، العين: (شَطَنَ).

2) ﴿أَوْلِيَآءَهُۥ﴾: (الوَلْيُ) بسكونِ اللّام: القُرْبُ والدُّنوُّ، يُقال: تباعَدَ بَعدَ وَلْيٍ، والموالاةُ ضِدُّ المعاداة، و(الوَلايةُ) بالفتحِ والكَسْرِ: النُّصرةُ[1]، والمرادُ هنا: الَّذينَ يَتَوَلَّوْنَهُمْ، ويَسْتنصِرونَ به، والمرادُ بهمُ المنافقون، أو أبو سفيانَ وأصحابُه، أو عُمومُ الكافرينَ[2]، والوليُّ: ضدّ العدوّ، يقال منه: تولّاه، والمولى: المعتِق، والمعتَق، وابن العمّ، والنّاصر، والجار، والوليّ: الصّهر، وكل من ولي أمر واحد، فهو وليّه، وقول الشّاعر:

هُمُ الْمَوْلَى وَإِنْ جَنَفُواْ عَلَيْنَا *** وَإِنَّا مِنْ لِقَائِهِمُ لَزُورُ

قال أبو عبيدة: يعنى الموالي، أي بني العمّ[3].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

الشّيطان يخوّفكم من أوليائه الكفرة، بأوليائه المرجفين

إنّ ترهيبَ مَنْ رهَّبَ مِنَ المشركين، وقال: إنّ أبا سفيان وأصحابَه قد جَمعوا مقاتليهم لكم، إنَّما هو شيطانٌ أو داعيةٌ من دُعاته، يخوِّف أنصارَه الَّذينَ عُدِم إيمانُهم، أو ضَعُفَ، فحذارِ حذارِ - أيُّها المؤمنون - أنْ تخافوا المشركين، أولياءَ الشَّيطان، فإنّ نواصيهم بيدِ اللّهِ تعالى، لا يَتصرَّفونَ إلَّا بقدَرِه، بل خافوا اللّه الَّذي ينصُرُ أولياءَه الخائفينَ إيَّاه المستجيبينَ لدعوته[4]، "فأولياء الشّيطان إذا كانوا قد خوَّفوا المؤمنين بالكثرة والعدد، والهزيمة القريبة، فذلك هو منطقهم ومنطق الشّيطان، أمّا المؤمنون فهم أولياء اللّه، ولا يعتمدون إلّا عليه"[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

توجيهُ سببِ الفصلِ في قولِه تعالَى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾:

الاستئنافُ البيانيُّ يُعيِّن قائلَ قولة التّثبيطِ

قولُه تعالَى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ إمّا أن يُحملَ على أنَّه استئنافٌ بيانيٌّ؛ وذلك في حال أن يكونَ قولُه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ

(1) الرّازي، مختار الصّحاح، والفيروزآبادي، القاموس: (وَلَى).
(2) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/603.
(3) الجوهريّ، الصّحاح: 1/603.
(4) الشّوكاني، فتح القدير: 1/649 - 650، والسّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 118.
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/1513.

﴿لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: 173] بدَلًا أوْ صفةً من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [آل عمران: 172]، ومعنى الاستئنافِ البيانيِّ: تقدير سؤالِ سائلٍ عمَّن قال للمؤمنين تلك المقولةُ؟ فكان الجوابُ إنَّما ذلكم الشَّيطان، وهذا الوجهُ هو الأوجه في هذه الجملةِ.

وإمّا أن يكون قولُه تعالَى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ خبرًا عن ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: 173]؛ في حال إعرابِ قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ مبتدأً، والتَّقديرُ: قال لهمُ النَّاسُ إنّما مقالُهُم يُخوِّفُ الشَّيطانُ به.

ورابطُ هذهِ الجملةِ بالمبتدأ على هذا التَّقديرِ: هو اسْمُ الإشارةِ، واسْمُ الإشارةِ مُبتدأٌ، وهو إمّا عائدٌ إلى المقالِ، فلفظُ الشَّيطانِ على هذا مُبتدأٌ ثانٍ، ولفظُه مُستعمَلٌ في معناهُ الحقيقيِّ، والمعنَى: أنَّ ذلكَ المقالَ ناشِئٌ عن وَسْوسَةِ الشَّيطانِ في نفوسِ الَّذين دَبَّروا مكيدةَ الإرْجافِ بتلكَ المقالةِ؛ لتخويفِ المسلمينَ بواسطة رَكْبِ عبدِ القَيْسِ.

وإمّا أن تعودَ الإشارةُ إلى ﴿ٱلنَّاسُ﴾ مِنْ قولِه: ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: 173]؛ لأنَّ النّاسَ مُؤَوَّلٌ بشَخْص، وهو نُعَيمُ بنُ مَسْعود، فالشَّيطانُ بدَلٌ، أوْ بيانٌ من اسْمِ الإشارةِ، وأُطلقَ عليه لفْظُ (شيطان) على طريقةِ التّشبيه البليغِ[1].

سرُّ استعمالِ أداة ﴿إِنَّمَا﴾:

الحذرُ من الشَّيطانِ مسلكُ المؤمنين وحكمةُ العقلاءِ

آثرَ النَّظم استعمالَ أداة ﴿إِنَّمَا﴾ التي أفادَتِ الحَصْرَ في أنَّ الّذي ثبَّطَ، وخوّفَ ويسعى إلى ذلك على الدَّوامِ هو الشَّيطانُ وأولياؤه، وبتعيينِ السَّببِ يذهب العجب، ويدلُّ المؤمنين على معرفةِ من يُحرِّكهم الشَّيطانُ بوساوسِه، والشَّيطان معلومٌ لدى المؤمنين، وحصرُ التَّخويفِ به لبيانِ خطرِه، والحذر من كلِّ ما يبعثُ في النَّفسِ تخويفًا وترهيبًا.

امتلاءُ القلبِ من الخشيةِ طاردٌ للوَساوِسِ والأراجيفِ

بلاغةُ المجازِ بالحذفِ في قولِه: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ مجازٌ بالحذفِ، تقديرُه: يُخوِّفكُمْ أولياءَه، فحُذِفَ المفعولُ به الأوَّلُ لفعلِ ﴿يُخَوِّفُ﴾، والدَّليل

(1) العكبري، التبيان: 1/158، وابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/171 - 172.

على ذلك قولُه بعدَه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾، فإنَّ خوَّفَ يتعدّى إلى مفعولَيْنِ[1]، ويجوزُ حملُه على حذفِ آخر؛ فيكون المعنى: الشَّيطانُ يخوِّف أولياءه منكم، فلا تخافوهم، وهذا أقوى وأرسخ، إذ تخويف الشَّيطان لأوليائه لا لأولياء الرَّحمن، ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النَّحل: 99 - 100]، وفيه حذفٌ بديعٌ وتقديره: الشَّيطانُ يُخوِّفُ أولياءَه ليجمعوا لكم ويُحاربوكم، فلا تخافوهم، وهذا أبلغ من تقدير: يخوِّفكم أولياءَه.

نكتةُ استعمالِ اسم الإشارةِ للبعيدِ:

التَّهوينُ من شأنِ الشَّيطانِ وأثرِه

هوَّنت الآيةُ من الشَّيطانِ وما ينتجُ عنه مِنْ سوءٍ بأشكاله المختلفة، عندما استعملت الآيةُ اسْمَ الإشارةِ الَّذي يُفيدُ البُعدَ ﴿ذَٰلِكُمُ﴾؛ لتُؤكِّد بُعْدَ الشَّيطانِ وجماعتِه مِنْ أنْ يكونَ لهم أيُّ تأثيرٍ وسُلطانٍ على المؤمنينَ الّذين هم على ربِّهم يتوكَّلون،

قولُه سُبحانه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾.

معنى الفاءِ في قولِه تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾:

تعليلُ النَّهي عن الخَوْفِ قبل الشُّروعِ بالنَّهي

الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ لترتيبِ النَّهي، أوِ الانتهاءِ على ما قبلَها، أي: فَلا تَخافوني، فتقعُدوا عنِ القتالِ، وتجبُنوا، وخافوني، فجاهِدوا معَ رَسولي، وسارِعوا إلى ما يأمرُكُم به، والخطابُ بذلكَ للفريقينِ الخارجينَ للقتالِ والقاعِدين، ونبَّهتِ الفاءِ على ما وردَ قبلَها من كونِ المُخَوِّف: هو الشَّيطانُ، وإذا كانَ ذلك كذلك؛ فقد وجبَ عدمُ الخَوْف؛ لأنَّ الشَّيطانَ ضعيفٌ، كما قالَ تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: 76][2].

(1) العكبري، التبيان: 1/158، وابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/172.
(2) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/603.

فائدةُ جمعِ الضَّميرِ في قولِه: ﴿تَخَافُوهُمْ﴾:

أسـالـيـبُ الـشَّـيـاطـين مـتـجـدِّدةٌ في أثرِها وتأثيرِها

جمعُ الضَّميرِ في قولِه تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾، دون إفرادِه فلم يقل: (فلا تخافوه)؛ لتنبيهِ المؤمنين إلى أنَّ أولياءَ الشَّيطانِ كثيرون في طرائقِهم، وأساليبِهم، وأنَّ على المسلم الانتباه منهم، فالمحرِّضُ واحدٌ، وأتباعُه كثرةٌ، وهو ما يُرشِّحُ حملَ النَّظمِ في قولِه: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ على ظاهرِه لا تقدير يخوِّفكم كما سبق بيانُ ذلك.

نكتةُ تأخيرِ ماحقُّه التَّقديم:

إلـهـابُ المؤمنين الشُّعورَ بالإيمان لـتـقـويـتِـهـم في مجابهةِ أولياءِ الشَّيطانِ

جاءت أداةُ الشَّرط وفعلها ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ متأخِّرَيْن عن الجوابِ الَّذي تقدَّم مُصَدَّرًا بالفاءِ الرَّابطةِ للجواب في قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾، والأصلُ: إن كنتم مؤمنين فلا تخافوهم وخافونِ، لكنَّ تقديمَ ما حقُّه التَّأخيرُ، وتأخيرَ ما حقُّه التَّقديمُ، من وجوه البلاغةِ القرآنيَّة الفريدة، ونكتتُه في هذه الآية الإلهابُ والتَّهييجُ، "تذكيرًا وإحماءً لإيمانهم، وإلّا فقدْ عُلِمَ أنّهم مؤمنونَ حقًّا"[1].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الوِلايَة والنُّصرَة:

الوَلاية والوِلاية: النُّصرةُ، قالَ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: 68]. وقالَ سُبحانَه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحجّ: 78]. ونفَى اللّه تعالى الوِلايةَ بين المؤمنينَ والكافرينَ في غيرِ آية، منها قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ﴾ [الأعراف: 3]. وقولُه ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: 1]. وجعلَ بين الكافرينَ والشَّياطين موالاةً في الدُّنيا، ونفَى بينَهمُ الموالاةَ في الآخرة، فمِنَ الأوَّلى قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: 30]، ومِنَ الثّانيّة

(1) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/172.

قولُه تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى شَيۡـٔٗا﴾ [الدّخان: 41]، والمَوْلَى تأتي بمعنَى: المُعتِق، والمُعْتَق، وابنِ العمِّ، والنَّاصر، والجار، والحَليف[1].

النَّصْرُ والنُّصْرة: العَوْنُ، قالَ تعالى: ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ﴾ [الصّف: 13].

ونُصْرةُ اللّهِ للعبدِ ظاهرةٌ، ونُصْرةُ العبدِ للّهِ: هو نُصرتُه لعبادِه، والقيامُ بحفظِ حدودِه، ورعايةِ حقوقِه، واعْتناقِ أحكامِه، واجتنابِ نهيِه، قالَ ﷻ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمّد: 7][2]. ويتَّضحُ ممَّا تقدَّم أنَّ اسْتخدامَ البيانِ الإلَهيِّ لكلمة ﴿أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ أوْلى بالسِّياق القرآنيِّ من كلمةِ (أنصارَه)؛ لأنَّ الولايةَ لها مفهومٌ أوْسعُ من النُّصرة، ومعانٍ عديدةٌ، واسْتخدامُها في الموالاةِ بين الكافرينَ والشَّياطينِ كثيرٌ في آياتِ القرآنِ الكريم، كما ذكرنا. وموالاةُ الكافرينَ للشّياطينِ والعكسُ: هي موالاةٌ في الدُّنيا فقط؛ لأنَّها قائمةٌ على تحقيقِ مصالحَ شرّيرةٍ محْضَة، أمّا في الآخرةِ؛ فهي مُنْتَفيةٌ، بلْ تنقلبُ إلى عداوةٍ شَرسةٍ بين الشَّريكَيْن، ويتملَّصُ كل فريق وطَرَفٍ ممَّن كانَ يصاحبُه، ويناصرُه في الدُّنيا، كما جلَّى لنا البيانُ الإلهيُّ هذه الحقيقةَ أجْلَى بيان، بقولِ الحقِّ تباركَ وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾ [إبراهيم: 22]، وقولُهُ ﷻ حكايةً لقولِ إبراهيمَ ﷺ لقومِه: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٥﴾ [العنكبوت: 25].

الخَوْف والخَشْية:

سَبقَ بيانُ الفرقِ بين هذين المصْطَلَحَيْن عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ [آل عمران: 170]، وقولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ [آل عمران: 173]، ولكلِّ مقامٍ مِنَ السِّياقيْنِ السَّابقَيْنِ مَقالٌ يُناسبُه. وهنا في هذا المقامِ نجدُ نهيًا إلهيًّا لجماعةِ المؤمنينَ ألَّا يَخافوا مِنَ الشَّيطان وأوليائِه،

(1) الفرّاء، معاني القرآن: 1/418، والرّاغب، المفردات، ص: 185 - 186، والرّازي، مختار الصّحاح، ص: 650.
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 808 - 809، والعسكري، الفروق اللغوية، ص: 577.

أَعْقبَه مباشرةً أمرٌ إلهيٌّ لجماعةِ المؤمنينَ أنْ يَخافوا اللّه وحدَهُ؛ إنْ كانوا مؤمنين، فما العلّة هنا في ذِكْرِ الخوفِ دونَ الخَشْية ؟ذكرْنا سابقًا أنَّ الخشيةَ هي أشدُّ الخَوْف، فهل كان صحابةُ رسولِ اللّهِ ﷺ قد بَلغوا أشدَّ الخوفِ من المشركينَ حتَّى يقولَ اللّه تعالى لهم: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ [البقرة: 150]؟ الجوابُ واضحٌ أنَّه بالنَّفْي، ولكنَّ الصَّحابةَ ﷺ بَشَرٌ، فلا غَرْوَ مِنْ أنْ يَتسلَّلَ الخوفُ إلى قلوبِهم، حتَّى وإنْ كانَ المُخَوَّفُ أمرًا يسيرًا، وشيئًا هيِّنًا، ثمَّ إنَّ الخشيةَ هي خوفٌ مَشوبٌ بتعظيمِ المَخْشيِّ، صادرٌ عن علمٍ ويقينٍ صادقٍ، ومعرفةٍ بعظَمتِه، وليس لذلكَ أيُّ حسابٍ أوْ مِصداقيَّةٍ في نفوسِ الصَّحابة ﷺ، فلم يكونوا يُعظِّمون إلّا مَنْ يَستحِقُّ التَّعظيمَ، بلا حُدودٍ ولا قُيود، وهو اللّهُ وحدَه دونَ سِواه، واللّهُ يعلمُ ذلكَ أكثرَ مِنْ علمِهمْ بأنفُسِهم، ولذلكَ حُقَّ أنْ يقولَ اللّهُ عزّ شأنُه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾، وقولُه تعالى بعدَ ذلكَ: ﴿وَخَافُونِ﴾، هو مِنْ بابِ المُشاكلةِ اللُّغويّةِ الَّتي تقتضي مُسايَرةَ الكلمةِ وموافقَتَها بكلمةٍ مِنْ جِنْسِها ورَسمِها؛ وإنِ اخْتلفَ المعنَى بينَهما، كما قالَ تعالَى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: 40]، وليس جزاءُ السَّيِّئةِ في واقعِ الأمرِ والحالِ سيِّئة، وإنَّما هو خيرٌ وحُسْن، وإلّا فإنَّ الصَّحابةَ ﷺ أشدُّ النّاسِ خشيةً للّه، وأَعْلمُهم باللّهِ بعدَ رسولِ اللّه ﷺ.

الإيمان والإسلام:

(الإيمانُ): هو الإقرارُ باللِّسان، والتَّصديقُ بالجَنان، وهو عملُ القلبِ الَّذي هو المحبّةُ على سبيلِ الخُضوع، وجميعُ ما صحَّ عن رسولِ اللّهِ ﷺ مِنَ الشَّرعِ والبيانِ، كُلُّه حقٌّ، والإيمانُ واحد، وأهلُه في أصلِه سَواء، والتَّفاضلُ بينَهم بالخَشيةِ والتُّقى، ومخالفةِ الهوَى، وملازمةِ الأَوْلى[1]. و(الإسلامُ): شهادةُ أنْ لا إلهَ إلّا اللّه، والتّصديقُ برسولِ اللّه ﷺ، وإقامُ الصَّلاة، وصومُ رمَضان، وأداءُ الزَّكاة، وحجُّ البيتِ مَنِ اسْتطاعَ إليه سبيلًا. والإيمانُ أرفعُ من الإسلامِ بدرجةِ أنَّ الإيمانَ يُشارِكُ الإسلامَ في الظّاهر، والإسلامُ لا يُشارِكُ الإيمانَ في الباطِن، وإنِ اجْتَمَعا في القولِ والصِّفة. فالإسلامُ أعمُّ مِنَ الإيمان، معَ اعْتضادِهما بما نَطقَ به القرآنُ الكريمُ في قولِه تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات: 14] فإنَّه سُبحانه أثبتَ

(1) ابن تيمية، الفتاوى: 2/40 - 41، وابن أبي العزّ، شرح العقيدة الطّحاوية: 2/459.

لهمُ الإسلامَ، ونفَى عنهمُ الإيمان[1]. وما تَقدَّمَ يُظهرُ أنَّ إيرادَ كلمةِ ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ أَنْسَبُ بالمقامِ من كلمةِ (مُسلمينَ)؛ لأنَّ الإيمانَ عملُ القلب، وبه المحبَّةُ على سبيلِ الخُضوعِ التَّامِّ للّٰهِ ولشريعتِه، وهو أرفعُ من الإسلام، ثمَّ إنَّ سياقَ النَّصِّ القرآنيِّ ذكرَ الخَوْفَ بقول اللّٰه تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ والخَوْفُ عملُ القلبِ، فهو والإيمانُ سواءٌ في أنَّهما عبادة قلبيَّة، فمَنْ آمنَ باللّٰهِ حقَّ الإيمانِ في قلبِه؛ خافَ مِنَ اللّٰهِ حَقَّ الخَوْفِ في قلبِه، وقد قال النّبيّ ﷺ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي، إِنَّمَا الْإِيمَانُ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ، وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ»[2].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 318 - 319، والجرجانّي، التّعريفات، ص: 23.
(2) ابن أبي شيبة، المصنّف، ص: 23.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»